الدرس 04: بيانات الحداثة (بنيس)

- تتأسس الحداثة عند محمد بنيس على ضرورة السؤال المستمر حول كل شيء، حيث يعتبره جوهر الفهم والتفكير. فبالنسبة له الحداثة ليست مرحلة زمنية أو ثقافية، بل هي عملية دائمة من البحث والتساؤل المستمر عن المعرفة، حتى في الأمور التي نعتبرها بديهية. في كتابه "حداثة السؤال"، يؤكد بنيس أن السؤال لا ينتهي ولا يصل إلى إجابات نهائية، بل يدفع الإنسان للبحث المستمر عن الحقيقة.

- وهو يصف الحداثة في مقدمة كتابه (حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة) بقوله أنها" **السؤال مرتفع أو هاوية، مغامرة تصاحب التشظي، رحم تتكون فيه العين الأخرى، هذا الممكن الذي به نكتب، نتعلم كيف تكون الطرق، وكيف ينشق المسار" (بنيس ص8).**

- في "حداثة السؤال"، ينتقد محمد بنيس الشعر المغربي المكتوب بالعربية الفصحى لعدم امتلاكه "فاعلية الإبداع" التي تمنح المتعة للكتابة والقراءة. يرى أن الشعر الفصيح ظل محكومًا بالتقليد ولم ينجح في تقديم نصوص مبتكرة تتجاوز الأنماط الجاهزة.

فبالنسبة له، الحداثة تكمن في الكتابة الجديدة التي تتحدى الماضي وتفتح المجال للابتكار والتجديد. يقول: «**لم يستطع الشعر المغربي المكتوب بالعربية الفصحى طوال حياته وتاريخه أن يمتلك الفاعلية والإبداع تلك الفعالية التي من شأنها أن تضفي على الشعر جمالاً ومتعة كتابة وقراءة أي القدرة على تركيب نص مغاير يخترق الجاهز المغلق المستبد إلا في حدود مساحة مغفلة إلى الآن، تمت في زمن مختصر، مما عرّض غيرها وهو الأغلب السائد للمحو الدائم، لتعطيل الإنتاج، هاهو الآن مبعد عن القراءة، منسي بين رفوف بعض المكتبات العامة والخاصة، وقد تحول إلى مادة متحفية**» **(بنيس ص 20)**. هذا النوع من الشعر الذي لا يوفّر الفاعلية والتغيير والإبداع ، قد تحوّل إلى وثائق تساعد على تجلية غوامض مرحلة من المراحل فقط.

وفي نفس السياق يتابع بنيس هجومه على الكتابة الأدبية التي تعيد إنتاج القديم وتجتر الماضي وتتقيد بشروطه ومعاييره فيقول " **هذا الشعر المقدس في الكتب والمقررات الرسمية ينكفئ على موته الدائم، يختلي ببرودته وتكلّسه، لا سؤال لديه ولا جواب، لا حنين ولا كشف ولا مغامرة، ركام من البلادة والعفن (...) مَحْقٌ، تكريس، قهر، وغاية هل نسميه بعد كل هذا شعرا ؟" (بنيس ص20)**إن هذا الشعر حسب اعتقاده يشبه النفايات، مرمي على رفوف المكتبات ولا يستحق أن يسمى شعرا، لذلك يجب التخلص منه.(مقال معالم الحداثة في تجربة محمد بنيس)

ومن هذا المنطلق يرى بأن الكتابة الحداثية هي نفي لكل سلطة، فهي لا تتحقق إلا بكونها إبداعًا خلاقًا يتطلع نحو اللانهائي واللامحدود. إنها كتابة تحوّل تتحدى الأنماط المسبقة والمفاهيم التقليدية، وترفض استنساخ الماضي

أو ترسيخ الأوهام. هي كتابة تسعى لاكتشاف المجهول والمفاجئ، وتكشف ما كان منسيًا أو محجوبًا. بالأساس، هي كتابة مضادة ترفض الثبات، وتبدأ بالعصيان والدهشة، دائمًا ما تدهش وتحطم الحدود. (سطيف بتصرف)

- النقد هو **"أساس الإبداع، هذه هي القاعدة الثابتة للكتابة. حين نقول بالنقد نلغي القناعة (...) النقد محاصرة للذاكرة كمرتكز لكل كلام وأصل" (بنيس ص19)**

ترتبط الكتابة الحداثية -أيضا- ، وفقًا لمحمد بنيس، بالممارسة النقدية التي تعد أساسًا لكل إبداع. فيرى بنيس أن النقد يعني إلغاء القناعات السابقة؛ لأنه عامل التحول والمراجعة المستمرة التي تدفع نحو تجديد دائم. فيشير إلى أن النقد يتجاوز ما هو ثابت ويسعى لفتح آفاق جديدة، ليكون وسيلة للتحول والتخطي نحو مسارات مغايرة ومحتملة.

فالنقد يعمل على تحرير النص وفكه من القيود المفروضة عليه فـ**" لا معنى للنقد والتجربة والممارسة إن هي لم تكن متجهة نحو التحرر"** (ص21)